

السيرة – سيرة الصحابييات الجليلات – أمهات المؤمنين – السيدة عائشة – الدرس ٤-٥: السيدة عائشة: حادثة الإفك

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات .

ما هو هدف المنافقين في اتهام زوجة النبي عائشة بالفاحشة ؟

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثالث عشر من دروس سير الصحابييات الجليلات رضوان الله عليهن أجمعين، ومع زوجات النبي أمهات المؤمنين، ومع السيدة عائشة رضي الله عنها، ننتقل اليوم إلى حديث الإفك .

أيها الأخوة، حديث الإفك من أخطر ما واجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأهوال والصعاب، فالمنافقون كانوا يقصدون من ورائه إلى محاربة النبي صلى الله عليه وسلم بإساءة سمعته .

أنت أحياناً تحارب إنساناً عن طريق مقاومته، وأحياناً تحارب إنساناً عن طريق تشويه سمعته، فحديث الإفك بشكلٍ أو بآخر محاولة من المنافقين لتشويه سمعة النبي عليه الصلاة والسلام، ومع تشويه سمعة النبي، القصد البعيد تشويه هذا الدين الحنيف .

المعركة بين الحق والباطل معركة أزلية أبدية، فكل واحد له ولاء، أهل الإيمان يوالون المؤمنين، وأهل الفسق والفجور يوالون بعضهم بعضاً، فينبغي أن يعرف الإنسان هو مع من؟ هذا الذي يوالي المؤمنين، ويتبرأ من الكفار والمنافقين، مؤمنٌ ورب الكعبة، أما الذي له ولاء لغير المؤمنين، هذا في إيمانه ضعف .



لذلك: فالمنافقون أرادوا أن يشوّهوا هذا الدين، عن طريق تشويه سمعة النبي عليه الصلاة والسلام من خلال اتهام زوجته بالفاحشة .

متى جاء حديث الإفك؟ بعد أن قال عبد الله بن أبي بن سلول للنبي وأصحابه: سمّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، يقصد الأعرز هو ومن معه، والأذل يقصد به النبي عليه الصلاة والسلام والمهاجرين .

أيها الأخوة، قال هذا المنافق رئيس المنافقين: ماذا فعلتم بأنفسكم؛ أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم؟ أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم، لتحوّلوا إلى غير بلادكم .

عملية تهجير، فالهدف البعيد جداً من حديث الإفك، تهجير المهاجرين إلى بلادٍ أخرى ، عن طريق تشويه سمعة الدين، من خلال تشويه سمعة النبي، من خلال اتهام زوجته الطاهرة بالفاحشة، قال تعالى:

(إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا)

[سورة الطارق الآية: ١٥-١٦]

فماذا يعيننا من هذا الموضوع؟ أنت كمؤمن ووطن نفسك أن هناك من يناوئك، هناك من يطعن في نزاهتك، هناك من يريد أن يشوّه سمعتك، الدنيا دار ابتلاء وليست دار جزاء، والإنسان يرقى على قدر ما يُبتلى به .

إليكم خبر حادثة الإفك كما ورد في كتب الصحاح :



أيها الأخوة الكرام، خبر حديث الإفك ورد في الصحاح، تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها:

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً، أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها، خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق، أقرع بين نسائه كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن،

فخرج بي رسول الله .

-هناك حكمة بالغة من اصطحاب الزوجة في السفر، يعرفها المتزوجون، النبي عليه الصلاة والسلام في أقواله، وفي أفعاله، وفي إقراره، وفي صفاته مشرّع، فكان إذا أراد سفراً، حتى ولو كان السفر غزوةً، أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها، صحبها معه- .

قالت السيدة عائشة: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق، -والعلق ما فيه بلغة من الطعام، أي طعامهن قليل، إذًا: أوزانهن خفيفة- لم يهجن اللحم فيثقلن، -أي أن نساء الصحابة كنَّ نحيلات- وكنت إذا رُحِلَ بعيري، جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بعيري يحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون بي .

-كلام واضح؛ كان هناك هودج تجلس فيه، يرفعه رجلان، يضعانه فوق ظهر الجمل، يربطانه، ثم يأخذان بخطام البعير، ويقودان هذا البعير في مسيرة الجيش- .

قالت السيدة عائشة: فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من سفره، وجَّه قافلًا حتى إذا كان قريباً من المدينة، نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل، ثم أدن في الناس بالرحيل، فلما ارتحل الناس، خرجت لبعض حاجتي .

-ذكرت هذا من قبل: أن هناك عشرات الاحتمالات التي كان من الممكن ألا يقع حديث الإفك. أريد أن أعلمكم أن الأحداث التي وقعت في عهد النبي أحداثٌ مقصودةٌ لذاتها، لم يقع حدثٌ صدفةً، بل كل حدث مرگز مقصود لذاته، ليقف النبي الموقف الكامل، فيكون موقفه تشريعاً- .

فالت هذه السيدة الجليلة: ثم أدن في الناس بالرحيل، فلما ارتحل الناس، خرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقدٌ لي .

-لو أنها لم تشعر بحاجةٍ إلى قضاء الحاجة لما خرجت، ولم يكن حديث الإفك، قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ)

[سورة النور الآية: ١١]

قالت: خرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقدٌ لي، فلما فرغت، انسل من عنقي ولا أدري، -انقطع خيط العقد، فوق في الأرض، لو كان الخيط ثخيناً أو متيناً لما انقطع، لو لم ينقطع هذا الخيط، لما كان حديث الإفك، لو لم تشعر بحاجةٍ إلى قضاء الحاجة، لما كان حديث الإفك- فلما رجعت إلى الرحل، ذهب أتمسه في عنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت أتمسه حتى وجدته، وجاءوا خلاف القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أنني فيه، كما كنت أصنع .

-وزنها خفيف جداً لم ينتبهوا، فلو انتبهوا لما كان حديث الإفك، لو أنها تبحث عن العقد في مكان قريب، لما كان حديث الإفك، لو أنهم رأوا شخصاً من بعيد، لتفقدوها وذهبوا إليها، ولما كان حديث الإفك، معنى ذلك الحدث مقصود لذاته .

أحياناً تقع معك مشكلة؛ لو لم أسافر لما كانت، لو لم أسلك هذا الطريق لما كانت، لو لم أركب هذه المركبة لما كانت، لو لم تظهر لي حاجة للسفر لما كانت، فلذلك:

((الْكُلُّ شَيْءٌ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِهِ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

شيءٌ مريحٌ جداً أن تقول: إذا شاء الله
أمراً فعله،

**((فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا،
وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ
لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))**

[أخرجه مسلم في الصحيح]

أي أنك أيها الأخ حينما تكون مؤمناً،
تلغي من قاموسك كلمة (لو)، فكانها
غير موجودة، الشدة النفسية تأتي من



الندم؛ فلا ندم، ولا تمنى، ولا حسرة، ولا حزن، كل هذه المعاني غير موجودة، فهذا حديث مهم جداً، أحياناً التعليم عن طريق الأفعال أقوى من الأقوال ، لغة العمل أبلغ من لغة القول .

كان من الممكن ألا يقع هذا الحديث، لأكثر من عشرين سبب، لكن الأحداث التي وقعت في عهد النبي، أحداثٌ مقصودةٌ لذاتها لتكون تشرية، ولتكون السيدة عائشة قدوةً لكل امرأةٍ في الأرض أصيبت بسمعتها- .

قالت: فأخذوا اليهودج، وهم يظنون أنني فيه كما أصنع، فاحتلموه، فشدوه على البعير، ولم يشكوا أنني فيه، ورجعتُ إلى العسكر، وما فيه داع ولا مجيب، قد انطلق الناس.

-معنى ذلك: أنها ابتعدت، فلما رجعت مكان اليهودج، رأت الناس قد ارتحلوا، لا سميع ولا مجيب، ولا قريب- .

قالت: فتلفنت بجلبابي، ثم اضطجعتُ في مكاني الذي ذهبت إليه، وعرفت أن قد لو افتقدوني رجعوا إلي، فو الله إنني لمضطجعة، إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي .

-أنا أريد أن أزيد من قناعة الأخ الكريم؛ أن كل شيء وقع إرادته الله، لحكمةٍ بالغةٍ بالغة: يجب أن تعلموا علم اليقين أن كل شيء وقع إرادته الله، وأن كل شيء إرادته الله وقع، وأن إرادة الله متعلقةٌ بالحكمة المطلقة، وأن حكمته المطلقة متعلقةٌ بالخير المطلق .

هذا الصحابي الجليل مرَّ بها، وكانت مضطجعة، قد تلفنت بجلبابها في مكانها الذي تركوها فيه، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته .

نشأت له حاجة، فتخلف عن العسكر، فلو لم تنشأ له حاجة، لما تخلف عن العسكر، ولما كان حديث الإفك، لو لم يتأخر، لافتقدوها بعد حين، رجعوا إلى المكان فوجدوها، فحملوها وانطلقوا، فلم يكن هناك حديث إفك- .

قالت: فلم يبيت مع الناس في العسكر، فلما رأى سوادي، لم ير منها شيء، مَلْفَقَةٌ بجلبابها- أقبل حتى وقف عليّ فعرفني، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أظعينة رسول الله؟ وأنا متلففة بثيابي، قال: فما خلفكِ رحمك الله؟ قالت: فما كلمته ثم قرّب البعير حتى أركبني، حتى قال لي: اركبي رحمك الله واستأخر عني، قالت: فركبت، وجاء فأخذ برأس البعير، فانطلق بي سريعاً، يطلب الناس .

-هل يستطيع هذا الصحابي الجليل أن يفعل غير هذا الذي فعل؟ صحابي جليل يرى أم المؤمنين، يرى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يرى ظعينة رسول الله متخلفة عن الركب وحدها، متلففة بثيابها، هل يستطيع أن يتركها ويمضي؟ مستحيل- .

قالت: فو الله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس، فلما اطمأنوا ، طلع الرجل يقودني، فقال: أهل الإفك ما قالوا؟ -رأوا زوجة رسول الله على بعير صفوان بن المعطل السلمي- فارتج العسكر، فو الله ما أعلم بشيء من ذلك، ثم قدمنا المدينة، فلم أمكث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني شيء من ذلك، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى أبي، ولا يذكران لي من ذلك قليلاً ولا كثيراً .

-فلماذا لم يذكر النبي لها قليلاً ولا كثيراً، ولا أباهاً ولا أمها؟ لثقتهم الكبيرة بأنها طاهرة، فأصعب شيء أن تتهم إنساناً بريئاً، شيء لا يحتمل، ظلم شديد أن تفتري على إنسان افتراءً لا أصل له- . قالت: إنا أني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي، إن كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك في شكواي تلك، فأنكرت منه، كان إذا دخل عليّ، وأمي تمرّضني، قال: كيف تيكم، ولا يزيد على ذلك؟ أما من قبل كان إذا دخل عليّ وأنا مريضة، يقول: كيف عويش؟ .

-عويش من ألفاظ التحبب لاسم عائشة، فهناك أسماء يُتَّحَبُّ بها بتعديلها، تصغيرها، أو اختصارها، أو ترخيمها، كان عليه الصلاة والسلام يقول: كيف عويش؟ أما الآن يقول: كيف تيكم؟- . قالت: أنكرت منه ذلك، حتى وجدت في نفسي مما رأيت من جفائه عني، فقلت له: يا رسول الله، لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرّضتني، قال: لا عليك اذهبي إن شئت، فانتقلت إلى أمي، ولا أعلم بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة .

قالت: وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُفُّ التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، وإنما كنا نخرج في فُسْحِ المدينة، وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن ، فخرجت لبعض حاجتي، ومعني أم مسطح بنت رهم بن المطلب، وكانت أمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر .

قالت: فو الله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها، -أي في كسائها- فقالت: تعس مسطح .
-الآن أول خبر يصل إلى عائشة، هيَ ماذا رأته؟ رأت النبي يجافيه، ولكن ليس جفاء مطلقاً بل
جفاء نسبياً، كيف عويش؟ سابقاً، كيف تيكم؟ فالإنسان الحساس الذي عنده مشاعر رقيقة، يشعر
بأدق التغيرات، فاستأذنت النبي أن تنتقل إلى بيت أهلها فأذن لها، وهي في طريق قضاء حاجتها،
قالت لها هذه المرأة: تعس مسطح- .

قلت: بنس لعمر الله ما قلت لرجلٍ من المهاجرين قد شهد بدرًا، -هي لا تعلم ماذا حدث؟
صحابي جليل رأى أم المؤمنين في الطريق، أركبها على جملة، وقادها إلى الركب- .
قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك .
-اتهمت بالفاحشة مع صفوان بن المعطل السلمي، يمكن أن يُلغى حديث الإفك، ولكن الله أراده، دليلٌ
هذا قولُ الله عزَّ وجل:

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ)

[سورة النور الآية: ١١]

قس على هذا أيها الأخ الكريم، قس على هذا الحديث أنه إذا أصابك شيءٌ تكرهه، اقرأ قوله تعالى:
**(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ)**

[سورة البقرة الآية: ٢١٦]

الله عزَّ وجل لطيفٌ لما يشاء؛ فالله عزَّ وجل ينقل الإنسان من حال إلى حال، من مستوى إلى
مستوى، من منزلة إلى منزلة، من مقام إلى مقام، يؤدّب، يهدّب، يشجّع، يقوي، يعين، يعطي
خبرات عميقة، ما الإنسان الناضج؟ مجموعة خبرات، كل خبرة تعني أن فيها مأساة، هناك مشكلة،
وهناك خبرة مؤلمة ألمت به .

مرّة قال سيدنا موسى بالمناجاة: يا رب لا تُبق لي عدواً، قال: يا موسى هذه ليست لي، ليست لله عزَّ
وجل، أليس هناك أعداءُ لله عزَّ وجل، فوطن نفسك أنك لا تجد إنساناً إلا وله أعداء، لأن معركة
الحق والباطل معركةٌ أزليةٌ أبديةٌ، إن كنتَ مع أهل الحق فأهل الكفر والفسوق يعادونك، وإن كنتَ
مع أهل الإيمان فأهل الكفر يعادونك- .

قالت: وقد كان هذا؟! -استفهام إنكاري- قالت: نعم، والله لقد كان، -هذا الذي حصل.
هذه الكلمة التي ألقيت على مسامع السيدة عائشة كأنها قنبلة- قالت: فو الله ما زلت أبكي حتى ظننت
أن البكاء سيصدِّع كبدي .



أصعب شيء على المرأة ان تتهم بشرفها

فأصعب شيء على المرأة الشريفة الطاهرة أن تتهم بشرفها، أصعب شيء على الإطلاق، أن تتهم المرأة العفيفة الطاهرة بشرفها- .

قالت: وقلت لأمي: هل علمت أمي بهذا الخبر، يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، وبلغك ما بلغك، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً، قالت: أي بنيتي! خُضِي الشآن، فو الله قلما كانت امرأة

حسنة عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا أكثرن عليها .

-أي هذا شيء طبيعي، معنى ذلك أن هناك حسداً، أحياناً الإنسان يُحسد، فالحسود يلقي بالتهمة جزافاً، ليشفي صدره من محسوده- .

قالت: وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم، ولا أعلم بذلك، ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهن غير الحق، والله ما علمت منهن إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل، -أي صفوان بن المعطل السلمي- والله ما علمت منه إلا خيراً، وما دخل بيتاً من بيوتني إلا وهو معي .

-تألم النبي عليه الصلاة والسلام، لقد آذوه أشد الأذى، آذوه في عرضه- .

قالت: وكان قد كُبرَ ذلك عند عبد الله بن أبي سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح . -أي صار في أناس من الصحابة تألموا أشد الألم لهذا الحديث، وأناسٌ آخرون تساهلوا قليلاً، ومنافقون كُتِرَ شمتوا، وفرحوا، وأحبوا أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا- .

قالت: ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي معي، فجلس وحمد الله وأثنى علي، ثم قال: يا عائشة، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقي الله، إن كنتِ اقترفتِ سوءاً مما يقول الناس، فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده .

قالت: فو الله ما هو إلا أن قال ذلك، تقلص دمعي، حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبوي أن يجيبا رسول الله، فلم يتكلما .

قالت: وإيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأناً من أن ينزل الله عزَّ وجل في قرآنًا، يُقرأ به في المساجد، ويصلى به، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً، يكذب الله به عني، لما يعلم من براءتي، أو يُخبر خبراً، فأما قرآنٌ ينزل في، فو الله لنفسني كانت أحقر عندي من ذلك .

-تصوّرتُ أن الله يبرئها بمنام يراه النبي عليه الصلاة والسلام، بطريقة أو بأخرى، أما أن ينزل وحي، قرآن يُتلى إلى يوم القيامة في براءة هذه السيدة المصون، قالت: والله كنت أحقر في نفسي من أن ينزل قرآنٌ فيّ- .

قالت: فلما لم أرَ أبويّ يتكلمان، قلت: ألا تجيبان رسول الله؟ فقالا لي: والله ما ندري بماذا نجيبه؟ .
-شيء مسكت، تهمة كبيرة جداً لامرأةٍ طاهرةٍ عفيفةٍ، زوجها رسول الله، أبوها أبو بكر، أمها أم رومان، قِمم، والتهمة كبيرة، فأية امرأةٍ إلى يوم القيامة، اتهمت كما اتهمت السيدة عائشة، ففي هذه السيدة المصون أسوءُ حسنة- .

قالت: وايم الله ما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام.
-الحياة فيها متاعب كثيرة، فأحياناً هناك متاعب لا يعلمها إلا الله تصيب الإنسان، إن أشد الناس بلاءً؛ الأنبياء، ثم الأمتل، فالأمتل .

الإنسان يُبتلى على قدر إيمانه، فإن كان قوي الإيمان اشتد بلاؤه، وهذا البلاء يرفع درجاته عند الله عزّ وجل- .

فلما قال لها النبي الكريم: يا عائشة، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقي الله ، وإن كنتِ اقترفتِ سوءاً مما يقول الناس، فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده .



قالت: فو الله ما هو إلا أن قال ذلك، حتى تقلص دمعي، هنا استعبرت فبكيت، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتُ أبداً، والله لئن أقررت بما

يقول الناس، والله يعلم أنني بريئة منه، تصدقوني عندئذٍ، لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما تقولون، لا تصدقوني .

قالت: ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره، ولكنني أقول كما قال أبو يوسف: فصبرٌ جميل، والله المستعان على ما تصفون .

-أخواننا الكرام، كنت أقول لكم دائماً: الحُزن خلاق، المصائب أحياناً تصنع الرجال وتصنع النساء، المصائب محك، الإنسان حينما يمرُّ بظروف صعبة، يصبح رجالاً بالمعنى الكبير، والمرأة حين تمرُّ بظروف صعبة تصبح أماً كبيرةً، قال تعالى:

(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)

[سورة يوسف الآية: ١٨]

قالت: والله ما برح رسول الله مجلسه، حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجِّي بثوبه، ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فو الله ما فرزت كثيراً ولا بالبيت، وقد عرفت أني بريئة، وأن الله غير ظالمي، وأما أبواي فو الذي نفس عائشة بيده ما سُري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ظننت أن نفسيهما ستخرجان فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قاله الناس .

-هي مطمئنة لأنها بريئة، أما أبوها وأمها في قلق شديد جداً، فلربما يُنبت الوحي ما قاله الناس- .
قالت: ثم سُري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: أبشري يا عائشة، لقد أنزل الله براءتك .
-الإنسان أحياناً كثيرة ما له إلا الله، سمعت كلمة من أحد الأخوة، يقول: الحمد لله على وجود الله، الله يعلم الحقيقة، إذا كان قلبك سليماً، وإذا كنت مستقيماً، وإذا كنت بريئاً، فلا تخش أحداً، الله عز وجل سوف يبرئك- .

قالت: فقلت: بحمد الله وذنوبكم، ثم خرج إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في .

-لدينا تعليق على هذه الرواية:- أن السيدة أم رومان لما نزلت براءة السيدة عائشة قالت لابنتها السيدة عائشة: يا بنيتي، قومي إلى رسول الله فاشكريه، قالت: والله لا أقوم إلا الله، فتبسّم النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: عرفت الحق لأهله)).

الآيات التي نزلت بشأن براءة أم المؤمنين من التهمة التي لصقت بها :



أيها الأخوة، آيات براءة الصديقة بنت الصديق، الطاهرة المؤمنة، قوله تعالى:
(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا
تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا اُكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي
تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

[سورة النور الآية: ١١]

آيات براءة السيدة عائشة باقية الى يوم القيامة

بيّنت لكم من قبل أن التوحيد لا يُلغي المسؤولية، إذا عزوت هذا إلى الله،

فليس معنى ذلك أن الذي روج هذا الحديث لن يُحاسب، قال تعالى:

(وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

[سورة النور الآية: ١١]

يقول الله عز وجل:

(لَوْ لَّا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا)

[سورة النور الآية: ١٢]

علامة الإيمان أن تحسن الظن بأخوانك، قال تعالى:

(لَوْ لَّا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْ لَّا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْ لَّا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

[سورة النور الآية: ١٢-١٤]

أيها الأخوة، رضي الله عن هذه السيدة الحصينة العفيفة التي امتحنها الله عز وجل في أعز ما تملك، وصبرت، واحتسبت، فأنزل الله براءتها .

ماذا نستنبط من هذه القصة ؟

أيها الأخوة، يمكن أن يستنبط من هذه القصة: أن الله هو الحق، وأنه لا بد من أن يحق الحق، فإن كنت واثقاً من براءتك واستقامتك، فإله سبحانه وتعالى يتولى الدفاع عنك، ولكن إياك أن تجلس مجلساً فيه مظنة اتهام لك، وتلوم الناس إذا اتهموك، لا تضع نفسك موضع التهمة، وتلوم الناس إذا اتهموك، كان عليه الصلاة والسلام يمشي مع زوجته



صفية فرأى صحابييين جليلين، قال:

((هذه زوجتي صفية))

تعلم من هذه الواقعة: أن تكون واضحاً إلى أبعد الحدود، وقد قيل: البيان يطرد الشيطان . عود نفسك أن تفعل شيئاً، لا يمكن أن يفسر إلا تفسيراً واحداً، الشيء الذي يمكن أن يفسر تفسيرين، ابتعد عنه، وإذا تلبست به؛ وضّح قصدك ومرادك، فلو أن الناس اتبعوا النبي عليه الصلاة والسلام فيما قال:

((هذه زوجتي صفية))

لقطعوا كل لسان يريد اتهاماً للآخرين، فمثلاً: إنسان مسافر، يوكل أخت زوجته أن يتفقد أخته، هناك جيران يرون أن جارهم قد سافر، وأن شاباً يدخل على بيته في غيبته، ماذا يقولون؟ قد يتهمونك، يجب أن تُعلم جيرانك أنك مسافر، وأنت وگلت أخت زوجته أن يتفقد شؤونها، وضح .

فلو أنك دخلت لمحل صديقك، والمحل فارغ، والصديق غائب، إذ ذهبَ لبعض شأنه وقال لك: انتظرن، معك خمسمئة ليرة، أردت أن تفگها، فتحت الدرج ووضعتها، وأخذت خمس مئات، وقد دخل صديقك، لا تبق ساكتاً، بل قل له: سأصرف الخمسمئة، والأولى ألتا فعلها في غيبته، لو نقص صندوقه خمسمئة، يأتي الشيطان بوسوسته: رأيت صديقي يمد يده إلى الدرج، عودَ نفسك ألتا تفعل شيئاً له تفسيران، عودَ نفسك أن توضح، أن تبين، البيان يطرد الشيطان .

مرّة أذكر حادثة وقعت في محل تجاري، صاحب المحل معروف بالصلاح، وبالمحل غرفة داخلية، وعنده تاجر من حلب، تاجر له قيمته، وله زيه الديني، جاءت امرأة، رحّب بها صاحب المحل ترحيباً أكثر من كونها زبونة تشتري، أنا من حسن ظني بأخي وصديقي، قلت: لعلها أخته، الشيخ الحلبي تغيّر لونه، فقلت له: لعلها أخته، فلما ذهبت سألته، فقال: هي أختي، فيجب أن يبليغ .

أما أن تضع نفسك موضع التهمة، ثم تلوم الناس إذا اتهموك، هذا ليس من الدين في شيء، هناك علاقات الجوار، والعلاقات الأسرية، والعلاقات مع الشركاء، دائماً وضح ، وبيّن ، ودقق، وإلا هناك أشخاص يلوكون سمعتك دون أن تشعر، وهناك فتن قد تجري في المدينة يروج لها المنافقون، وهذا الحديث درسٌ بليغٌ للمؤمنين .

أول استنباط: إذا أراد الله شيئاً وقع .

الاستنباط الثاني: إذا كنت على حق، فالله عزّ وجلّ سوف يتولّى تبرئتك .

الاستنباط الثالث: لا ينبغي أن تضع نفسك موضع التهمة، ثم تلوم الناس إذا اتهموك .

والحمد لله رب العالمين